



التاريخ: 28/03/2008

الشيخ الطيب محمد خير الشعال

((سلسلة قوانين القرآن))

﴿ ٥٥ الصُّلْحُ خَيْرٌ ٥٥ (١٢٨) ﴾ [النساء]

الحمد لله، الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعينه ونستعديه ونستترشده ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد إن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله خير نبي اجتبه وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ولو كره المشركون ولو كره من كره، اللهم صل على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فيا عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى فنحن عما قريب أيها الإخوة ذاهبون إلى دار لن نعود فيها إلى هنا وليس هناك إلا الحسنات والسيئات، ليس هناك إلا تقوى الله نحن في دار عمل لا حساب فيها وغداً قادمون على دار حساب لا عمل فيها.

وإنه من ﴿ . . يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) ﴾ [الزلزلة]

فقدموا لأنفسكم، ثم أستفتح بالذي هو خير يقول الله تبارك وتعالى في محكم التنزيل :

{آل}[قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧)]

[عمران]

وقال الله تعالى : ﴿ فَهَلْ يُنْتَظِرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ

تَحْوِيلًا (43) ﴾ [فاطر]

نحن في الخطبة الثانية عشر وقبل الأخيرة من سلسلة السنن الإلهية في القرآن أو قوانين القرآن .

يا أيها الإخوة تعالوا نقرأ القرآن نبحث عن قوانينه، في القرآن قوانين، نواميس، سنن إلهية تنظم الكون كله لا تتبدل ولا تتغير ولا تحابي أحداً من فعل مقدماتها نال نتائجها و من خالفها خالفته ونحن إذا قرأنا القرآن الكريم نبحث عن قوانينه لنعمل بها سعدنا وسعد من حولنا، وإذا تركنا القرآن أصابتنا قوارعه .

تحدثنا لماذا هذه السلسلة؟ وتكلمنا عن السنن الإلهية في التغيير، وعن السنن الإلهية في النصر، وعن السنن الإلهية في الابتلاء، وعن السنن الإلهية في الهداية والضلال، وعن السنن الإلهية في الإيمان والعمل الصالح، وعن السنن الإلهية في الذنوب والسيئات، وفي الظلم والظالمين، وفي الحياة الطيبة والمعيشة الضنك، وفي تحصيل الألفة والمنفعة، وفي البقاء للأمنع

وعنوان خطبة اليوم : ﴿ ۞ الصُّلْحُ خَيْرٌ ۞ ﴾ (128) ﴿ [النساء]

هذا قانون إلهي وسنة ربانية تقول الصلح خير .

جاء هذا القانون في الآية رقم 128 من سورة النساء قال الله تعالى :

﴿ وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا

وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (128) ﴿

[النساء]

الصلح عند أهل اللغة: اسم جنس محلى بأل يفيد العموم يعني جنس الصلح مهما كان عام في كل صلح .

أكثر المفسرين قالوا: وإن كانت الآية واردة في الزوجين لكنها تشمل كل صلح .

كلمة خير على وزن اسم التفضيل أفعل، العادة أننا نقول في اللغة لكل فعل ثلاثي نقول فلان أقوى من فلان ونقول فلان أذكى من فلان ونقول فلان أغنى من فلان .

في كلمتين فقط في اللغة العربية إذا أردت أن تفضل شيئاً عن شيء لا تجعلهما على وزن أفعل ، أغنى وأقوى وأذكى وأعلم كلها على وزن أفعل لكن كلمة خير وكلمة شر يقال: فلان خير من فلان يعني أخير من فلان , فلان شر من فلان يعني أشر من فلان .

قال الله تعالى : ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى (4)﴾ [الضحى] يعني أخير لك من الأولى .

الصلح خير يعني: الصلح أفضل، أخير، الصلح خير من الخصومة، والصلح خير من الشحناء، والصلح خير من العداوة والنزاع والبغضاء .

وللصلح أنواع خمسة: صلح بين المسلمين وأهل الحرب، وصلح بين أهل العدل وأهل البغي .

وصلح بين الزوجين إذا خيف بينهما الشقاق، وصلح بين المتخاصمين في الأموال، وصلح بين المتخاصمين في غير الأموال كالجنايات ونحوها .

والقانون الإلهي يقول الصلح خير من النزاع في الأنواع كلها .

الصلح: اسم من المصالحة يعني المسالمة وهي: خلاف المخاصمة، واسم من الصلاح وهو: التوفيق تقول: أصلحت بين القوم أي وفقت بينهم وهو إزالة النفرة بين الناس وقطع المنازعة .

قال بن بطال : الصلح خير في كل شيء من التمادي على الخلاف والشحناء والبغضاء التي هي قواعد الشر .

والصلح وإن كان فيه صبر مؤلم فعاقبته جميلة.

فالصلح بين الزوجين خير من ضياع الأولاد وشتات الأسرة والطلاق

والصلح بين الشريكين خير من إضاعة المال في القضاء وإضاعة صفاء القلب في الشحناء
والبغضاء.

والصلح بين الفريقين خير من الوقوع في الأعراض وشماتة الحاسدين والمبغضين وهكذا ...

وقد سمى الله تعالى الصلح فتحاً فقال : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (I) ﴾ [الفتح]

وقد ذكروا في صفات العاقل أنه يحب الوثام والسلام ويكره الشجار والخصام .

وقالوا: صلح خاسر خير من قضية رابحة، وقالوا: إياك والخصومة فإنها تمحق الدين وتوغر
الصدر وتشغل القلب وتشوش الصلاة وتورث الهم .

كان سيدنا عمر رضي الله عنه يقول : ردوا الخصوم حتى يصطلحوا فإن فصل القضاء يورث
بين الناس الضغائن .

لو حكم لك القضاء إن الضغينة وقعت في قلب خصمك .

خطب سيدنا علي رضي الله عنه قال : إياكم ومعاداة الرجال فإنهم لا يخلون من ضربين من
عاقل يمكر بكم أو جاهل يعجل عليكم بما ليس فيكم، واعلموا أن الكلام ذكر والجواب أنثى
وحيث اجتمع الزوجان فلا بد من النتاج .

ثم أنشأ يقول :

ومن دار الرجال فقد أصابا

سليم العرض من حذر الجوابا

ومن حقر الرجال فلن يهابا

ومن هاب الرجال تهيؤه

أيها الإخوة كل هذا المدح للصالح إنما هو في صلح يوافق الشرع والحق مصلحة الجماعة .

أما إذا كان الصلح لإبطال حق أو لإحقاق باطل فهو غير جائز في الإسلام .

فلا يجوز أن تصالح فتاة على الزنا مثلاً ، ولا يجوز أن يصالح فقيرٌ ضعيفٌ بالضغط عليه لأجل تنازله عن حقه لغني قوي، ولا يجوز أن يصالح شعبٌ مستضعف لتنازله عن أرضه وعرضه لصالح المتسلطين ...

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً)) [الترمذي]

قال الإمام النووي : فإن قلت لي لا بد للإنسان من الخصومة في الحياة لاستبقاء حقوقه وإلا أكل فالجواب ما أجابه الغزالي في كتابه الإحياء :

إن الخصومة المذمومة إنما هي لمن خصم في باطل أو خصم بغير علم أو لمن طلب حقه لكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر الكذب للإيذاء والتسلط على خصمه وكذلك من يحملة على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره فهذا هو المذموم، أما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير إسراف ولجاج وعناد وإيذاء ففعله ليس حراماً ولكن الأولى أن يترك المخاصمة إن وجد لأخذ حقه سبيلاً .

من هنا أيها الإخوة إن كنت لا تستطيع تحصيل حقك بالصلح وكان لا بد من الخصومة فيني أذكرك بآداب الخصومة الخمسة في الإسلام .

من أراد أن يخاصم وكان لا يوجد باب إلا باب الخصومة لاسترداد حقه فعليه أن يلزم آداب الخصومة الخمسة :

الأدب الأول : مراقبة الله تعالى في الخصومة .

لأن الله تعالى مطلع عليك يسمع كلامك ويرى إمضاءك ويشاهد التقارير التي ترفعها إلى المحكمة أو إلى الحكّمين ولأن خصومتك عينها ستكرر يوم القيامة أمام الله تعالى .

ستقف أنت والخصم أمام الله تعالى وستقدم نفس الدلائل والبراهين التي قدمت في الدنيا وستكلم بالكلام نفسه الذي تكلمته في الدنيا .

روى الإمام الترمذي عن الزبير رضي الله عنه قال : لما نزل قول الله تعالى :

في سورة الزمر [الزمر] {ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ} (31)

قال الزبير: يا رسول الله أتكرر علينا الخصومة يوم القيامة بعد الذي كان بيننا؟ قال : نعم ، قال : إن الأمر إذاً لشديد .

إذا أردت أن تخاصم والصلح خير أفضل لكن إن أغلقت الأبواب فعليك أولاً أن تراقب الله تعالى . في خصومتك

لو قال لك المحامي: بإمكانني أن أتلاعب بالعقد الفلاني لأغير منه شيئاً , نفس العقد سيبرز أمام الله تعالى ...

لو قال لك المحامي: عندي خطة للحديث مع القاضي لتغيير باطلك إلى الحق , نفس القضية ستعرض أمام الله تعالى يوم القيامة، لو استطاع أحد أن يزور بصمة أو توقيعاً , نفس البصمة ستعرض يوم القيامة أمام الله تعالى .

آداب الخصومة خمسة : أولاً : أن تراقب الله تعالى في خصومتك .

ثانياً : الاحتكام إلى الشرع في هذه الخصومة والنزول على قول الشرع فما فرض الشرع فرضناه وما حرم حرمناه وما أباح أبجناه .

قال الله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ

حَرْجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (65) [النساء]

إذا كان خصام بينك وبين زوجتك إذا حكم الشرع لها فالقول قول الشرع وإن كان لا يرضيك.

وإذا حكم الشرع لك فالحق لك وإن كان لا يرضيها، القول في أحكامنا قول الشرع .

وأذكر مرة أيها الإخوة أن رجلاً اتصل بي يريد أن يحكمني في مسألة طلاق بينه وبين زوجته وأهل الزوجة .

قلت له: قبل أن آتيك هل توكلني في إمضاء ما يقول الشرع في هذه المسألة ؟ إذا قلت لك أن الشرع يقول كذا وهكذا قال الله وهكذا قال رسوله هل تفعل ما أقوله لك ؟

صمت قليلاً ثم قال لي ماذا يقول الشرع في هذه المسألة ؟ يريد أن يعرف إذا وافق الشرع ما يريد دعائي وإذا لم يوافق له أعلق في وجهي سماعة الهاتف . القول قول الشرع الاحتكام في الخصومة للشرع .

الأدب الثالث من آداب الخصومة : الاعتدال في الخصومة وعدم الإغراق فيها واترك للصفح موضعاً.

قيل لأبي سفيان بن حرب وكان سيداً في قومه ما بلغ بك من الشرف ما نرى؟ قال: ما خاصمت رجلاً قط إلا جعلت للصلح بيني وبينه موضعاً .

وروى الإمام الترمذي عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه موقوفاً :

أحب حبيبك هوناً ما	عسى أن يكون بغيضك يوماً ما
وأبغض بغيضك هوناً ما	عسى أن يكون حبيبك يوماً ما

الأدب الثالث : عدم الإغراق في الخصومة واترك للصالح موضعاً .

الأدب الرابع من آداب الخصومة : لا تأخذ في الخصومة غير حَقِّك ولو حَكَم لك به من حَكَم.

لو حَكَم لك به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فلا تأخذه إذا كنت تعلم أنه ليس حَقِّك . إذا قالت المحكمة هذا الأمر لك وحكمت لك به ونفذته وكسبت التنفيذ وأنت تعلم بأن هذا ليس لك لا تأخذه .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض)) [البخاري]

يعني عنده قوة بيان، عنده قوة دليل، عنده قوة حجة، يستطيع بكلامه أن يحول الحق باطلاً والباطل حقاً والخصم الآخر ضعيف محامي الخصم الآخر ضعيف ومحاميك قوي .

لو حكمت المحكمة وكان الحاكم فيها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لا تأخذ إلا حَقِّك.

((إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَأَقْضِي عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْهُ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ))
والحديث في البخاري ومسلم .

الأدب الرابع في الخصومة لا تأخذ في الخصومة غير حَقِّك .

الأدب الخامس والأخير في الخصومة : ضبط اللسان على حد الاعتدال فلا كذب ولا شتائم ولا اعتداء على الحرمات وعلى الأعراض .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة المنافق :

((أربع من كن فيه فهو منافق خالص ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من النفاق حتى يدعها ، إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر)) [مسلم]

معنى فجر في اللغة العربية: أي انبعث في المعاصي والمحارم .

يتكلم في أعراض الناس وفي حقوق الناس وفي أسرار بيوت الناس بفجور . ضبط اللسان هو الأدب الخامس .

هذه هي آداب الخصومة الخمسة إن كان لابد من الخصومة لاسترداد الحق وإن أمكن درأ

الخصومة بالصلح فقد قال الله تعالى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾

أيها الإخوة ومثلما رغب الإسلام بالصلح فإنه رغب بالإصلاح بين الناس .

قال الله تعالى: ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين

الناس﴾ (II4) [النساء] .

أحاديث الناس كثيرٌ منها لا يوجد فيها خير، ولقد سمعت عن جمعية خيرية في مدينة سورية اسمها جمعية إصلاح ما بين .

ما أجمل أن يفعل بعض رجالنا بعض وجهائنا بعض من لهم كلمة ومكانة وسمة صالحة، جمعية إصلاح بين الناس كم توفر هذه الجمعية على القصر العدلي من قضايا .

﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس﴾ (II4)

[النساء] .

وقال ربنا: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (IO)

[الحجرات]

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : ((ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة إصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة)) [أحمد ، وأبو داود ، والترمذي] يعني تحلق الدين .

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَهْلَ قَبَاءٍ اقْتَتَلُوا حَتَّى تَرَامُوا بِالْحِجَارَةِ فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ فَقَالَ: ((اذْهَبُوا بِنَا نُصْلِحْ بَيْنَهُمْ)) [البخاري] وقد قيل امشي ميلاً عد مريضاً وامشي ميلين أصلح بين اثنين وامشي ثلاثة أميال وزر أخاً في الله.

وقد عقد الإمام البيهقي في كتابه شعب الإيمان باباً خاصاً قال: الباب السادس والسبعون من شعب الإيمان: باب في الإصلاح بين الناس إذا مرجوا وفسدت ذات بينهم، ذكر فيه أحاديث عديدة عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في فضل الإصلاح بين الناس .

أيها الإخوة هذا هو القانون الإلهي الثاني عشر الصلح خير وهذه هي آداب الخصومة في الإسلام وهذا هو فضل الإصلاح بين الناس .

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم فيا فوز المستغفرين , أستغفر الله ...

